رقم الترميز الدولي / ISSN (P): 2710-2653
ISSN (E): 2960-253X /
رقم الايداع الوطني / 2375 / 2019

تاريخ استلام البحث 11 / 1 / 2024
تاريخ قبول البحث 20 / 2 / 2024
تاريخ النشر 31 / 3 / 2024

عوامل بروز النزعة القومية والقيمة الجيوبولتيكية لإقليم الباسك

Factors of the emergence of nationalism and the geopolitical value of the Basque Country

الباحثة بلسم مثنى حامد
جامعة بغداد/ كلية العلوم السياسية
Balsam Muthanna Hamed
Baghdad University /College of Political Sciences
balsammothana@gmail.com

أ.م.د. فرح ضياء حسين
جامعة بغداد / كلية العلوم السياسية
D.r. Farah Diaa Hussein
Baghdad University /College of Political Sciences

IRAQI Academic Scientific Journals
https://www.iasj.net/iasj/journal/393/issues

الملخص

قد ألقى هذا البحث الضوء على أهم العوامل في صعود القومية والقيمة الجيوسياسية لبلد الباسك، أما أهمية هذا البحث فهو أنه يتناول موضوعًا لم يحظ باهتمام كافٍ أو تحليل كافٍ من قبل الباحثين. اذ لم يتطرق العلماء إلى الموضوع بشكل شامل أو كلي، اما بالنسبة لهدف البحث فهو تحديد الدوافع الحقيقية وراء الدعوات للانفصال ، بالإضافة إلى معرفة معنى قومية الباسك.

تتمتع بلاد الباسك بأهمية جغرافية تنعكس في موقعها الجغرافي الاستراتيجي المهم، وكذلك في مساحتها السطحية وكثافتها السكانية. كما تتمتع بالقيمة الجيوسياسية للصلة بين الدول الأوروبية، مما جعلها طموح دول الجوار، والوحدة الجغرافية هي أحد العوامل المؤدية إلى ترابط وتماسك الجماعات الوطنية ، ويبقى الشعور القومي هو سيد الموقف. على الرغم من وجود حواجز جغرافية بين العديد من المناطق ، كما يتجلى في صعود القومية الإسبانية في شبه الجزيرة الليبيرية على الرغم من فصلها الجغرافي عن بقية أوروبا الغربية في جبال البرانس.

كلمات مفتاحية : " النزعة القومية " , " الجيوبوليتيكة " , " الجيوسياسية "

Abstract

This research has shed light on the most important factors in the rise of geopolitical value and value in terms of the importance of this research because it is a subject of great value and great value. As the scholars did not address the subject in a comprehensive or holistic way, as for the purpose of the research, it is to determine the real motives behind the calls .for secession, in addition to knowing the meaning of Basque nationalism Basque Country Geographical Study. It should also have high quality attractiveness from neighboring countriesGeographical unity is one of the factors leading to the interdependence and cohesion of national groups, and the national feeling remains the master of the situation. Although geographical barriers exist between many regions, as exemplified by the rise of Spanish nationalism in the Liberian Peninsula despite its geographical separation from the rest of Western Europe in the Pyrenees.

Key word: "Nationalism", "Geopolitics", "Geopolitics"

المقدمة

تتخذ الدولة طابع المنظومة التي تتفاعل مع غيرها من الوحدات الدولية على انها وحدة موحدة تحتكر ممارسة السيادة الداخلية والخارجية، ويدخل في صلاحياتها تمثيل الشعب، الذي يقر لها بالولاء وللمجتمع بالانتماء. يحفزه في ذلك الإيمان بأهمية تقوية هوية وطنية جماعية، تجعله يتجاوز انتماءاته الفردية والمجموعاتية داخل الدولة، إلى القبول بمستوى أعلى من الاندماج السياسي والاجتماعي. فإن الواقع يثبت

أنه وبمقابل هذا الطرح التفاؤلي، لا يسع إلا الاعتراف أن غالبية الدول التي بها تعدد اثني، تجد نفسها أمام حالة تصادمية، تتواجه فيها هوية الدولة مع هوية البنى الاجتماعية الموجودة بها. مؤدية بذلك إلى إفراز عدة أشكال للنزاع، قد تصل حد قيام حرب أهلية وتعرض الدولة الخطر الانقسام، وهو ما يفضي إلى تغير الخريطة الجيو–سياسية للدولة ذاتها، ولدول الجوار التي تشترك مع هذه الأخيرة في نفس الخصائص المجتمعية، حقيقة تفسرها القدرة الكبيرة لهذا النوع من النزاعات على الانتشار.

ان القارة الأوروبية هي مثال واضح للاختلاف والتعدد الهوياتي، ففي وقت كانت فيه المساعي الاندماجية للكتلة الأوروبية تتوسع وتتكرس أكثر فاكثر، هادفة إلى تحقيق مستويات عليا من التكامل، ومضحية بشكل الدولة – الأمة لصالح كيان جديد تعبر عنه دولة ما بعد الحداثة، بدا واضحا أن البنى الاجتماعية داخل بعض هذه الدول لا زالت مؤمنة بالنموذج القومي، ومتمسكة بقناعة اختلاف هوياتها عن هوية الدولة التي تنتمي إليها، وهي القناعة التي بلورتها المطالب الاستقلالية للحركات الانفصالية، والتي وصلت في الحالة الباسكية إلى استعمال العنف وإعلان الحرب ضد الحكومة المركزية في مدريد.

اولاً. اهمية البحث: تكمن أهمية البحث في انها تتناول موضوعا لم يكن محط اهتمام كاف او تحليل واف من الباحثين اذا لم يتطرق الباحثون على نحو شامل او برؤية متكاملة لموضوع البحث الخاص عوامل بروز النزعة القومية والقيمة الجيوبولتيكية لاقليم الباسك ولذلك يمكن تحديد اهمية البحث في أنها محاولة متواضعة لسد الفراغ لما تعاني منه الدراسات الجغرافية الإقليم الباسك

اهداف البحث: يهدف البحث الى الوقوف على الدوافع الحقيقية وراء دعوات انفصال بالإضافة الى معرفة اهمية النزعة القومية الباسكية

مشكلة البحث : وتركز الدراسة في المقام الأول على تحديد ومراقبة درجة ونطاق تأثير الاختلافات العرقية نتيجة المأزق الأمني العرقي، وهو أحد المظاهر الأليمة التي تؤكدها درجة عدم الاستقرار الداخلي في الدولة.

فرضية البحث :ومن أجل تحديد السمات الرئيسية للإجابة على المشكلة، تم صياغة الفرضية الرئيسية التالية : إن سياسات الإقصاء بسبب الاختلافات العرقية هي العامل الأساسي في رفع الهويات داخل الدولة، وهو ما يخلق بدوره ظاهرة معضلة الأمن العرقي، التي تتعدد مظاهرها الاجتماعية والثقافية والسياسية وحتى الاقتصادية، والتي تتجسد في النموذج الاسباني

منهجية البحث: اعتمدت الدراسة على منهجية. علمية محددة، تكمن في منهج التحليل النظمي بشكل أساس مع الاستعانة بمقتربات منهجية (منهج مساعد) معززة له تكمن في المقترب الوصفي لتفكيك وتحليل طبيعة الدراسة بشكل أعمق .

المبحث الأول :عوامل بروز النزعة القومية الباسكية

يحظي إقليم الباسك بأهمية جغرافية تتجلى في الموقع الجيواستراتيجي الهام وكذا مساحته وكثافته السكانية. كما أنه يتمتع بقيمة جيوبولتيكية تتمثل في الربط بين الدول الأوربية والتي جعلت منه محط أطماع الدول المجاورة,وتعد الوحدة الجغرافية من العوامل المؤدية إلى ترابط وتلاحم الجماعات القومية، يبقى الإحساس بالقومية هو سيد الموقف، رغم وجود الحواجز الجغرافية بين العديد من الأقاليم، والمثال على ذلك نمو القومية الإسبانية في شبه جزيرة ليبيريا رغم انفصالها الجغرافي عن باقي دول غرب أوربا بجبال البرانس.

ان العنصر المشترك بين القومية والإثنية هو إحساس الجماعة بوحدة الإنتماء والتميز والرغبة في التجمع، اذ أصبحت الإثنية قومية تتجاوز أفراد الجماعة الإحساس بالرغبة في التجمع والإنضمام إلى الدولة الأم والإندماج فيها [1]

المطلب الأول: الخصائص الجغرافية لإقليم الباسك.

اسبانيا أحدى دول الاتحاد الأوربي التي تعاني من وجود حركات داعمة للانفصال ، نتيجة تعدد القوميات داخل الدولة الواحدة ، اذ تشعر تلك القوميات بعدم انتماؤها لدولة الام لكونها قوميات سبقت تشكيل الدولة ولها جذورها و عمقها التاريخي و الجغرافي مكونه ما يعرف بالاقليمية القومية او الاثنية ، وبذلك اعتمدت اسبانيا شعار (أمة القوميات) واعتمدت على قانون تقسيم الاقاليم الاسبانية لعام (١٨٣٣) إلى مقاطعات ومناطق تاريخية يتوافق العديد منها مع مايسمى بمناطق الحكم الذاتي ، اذ تحتفظ معظمها بحدودها السابقة (حدود التاريخية و الجغرافية معا) وهناك مناطق لم يتغير اسماؤها فتطابق مع اسم منطقة الحكم الذاتي ، وقد اعتمدت اسبانيا على مبدأ التوافق الدستوري واكدت على الدستور الذي وضع عام (١٩٧٨) باعتباره الحل الامثل لمطالبات الهوياتية للقوميات المتعددة ضمن الدولة الاسبانية ، اذ اعتبرت الحكومة الاسبانية أن التوافق الدستوري سوف يمنحها مرونة في التعامل مع القوميات المتعددة و يقيها مخاطر الانفصال ، رغم انها اهملت التعددية اللغوية و فرضت اللغة الاسبانية القشتالية ، مما ولد الشعور بالاضطهاد اللغوي و العرقي بغض النظر عن قبولها الحل التوافقي ام لا، كما يبدو ان دستور ١٩٧٨ حمل في طياته بذور الانقسام بين مكونات المجتمع فعندما اقرت و اعترفت الحكومة الاسبانية بالقوميات (الباسكية – الكتالونية – الغاليسيا) فهي بالواقع تعترف بأمر واقع بدستورية هذه القوميات المتعددة و التي تشكل اعلى نسب من حيث المنتمين لها ،حيث أن هذه القوميات واقعيا:– [2]

1. لا تتمتع بالسيادة ، فهي مجرد قوميات ثقافية منضوية تحت سيادة القومية الاساسية (الامة الاسبانية)
2. مهما تعددت اللغات فان اللغة الرئيسة التي يجب أن تكون في كافة المجالات (القشتالية)
3. القومية الاسبانية هي الأكثر تنظيما مقارنة بغيرها .

جغرافية اقليم الباسك

يحظي إقليم الباسك بأهمية جغرافية تتجلى في الموقع الجيواستراتيجي الهام وكذا مساحته وكثافته السكانية. كما أنه يتمتع بقيمة جيوبولتيكية تتمثل في الربط بين الدول الأوربية والتي جعلت منه محط أطماع الدول المجاورة ويقع إقليم الباسك في القسم الشمالي الغربي لإسبانيا، كما يشمل كذلك بعضا من الحدود الجنوبية لفرنسا .[3]

ويقع على خط العرض 43 درجة في أقصى غرب سلسلة جبال البيرينيه، ويطل على خليج بيسكايا (البحر الكنطبري) [4].حيث يمتد من واد رونكال (Roncal) في الشرق حتى واد أصون (Aso) في الغرب لتصل جنوبا إلى واد إبرون (Ebron) جبال البيرينيه الغربية بها أعلى قمة تسمى قمة وهي قمة Anie يبلغ إرتفاعها 2504 متر، وبدرجة أقل obry، التي ترتفع 2017م متر أما باقي الجبال فهي تفوق 100 متر، ، إضافة لسلسلة جبال cantabrico [5]

توجد واجهتين بحريتين واضحتا الاختلاف: الاطلسية والمتوسطية؛ ففي الواجهة الاطلسية يتمركز غالبية السكان والصناعة، بينما في الواجهة المتوسطية والتي يحدها الإيبرو من الجنوب فهي فلاحية مع تمركز ضئيل للسكان. كما يسوده مناخ معتدل لا تتخلله اضطرابات حادة، غير أنه يتميز بكثرة التساقطات 2.000 ملم سنوية في المناطق الرطبة و 500 ملم في ضفة الإبرو في جميع الأحوال يمكن التمتع بوجود ثلاثة مناخات مختلفة:

1- سوبالبينو في منطقة البيرينيه.

2- أطلسي معتدل ورطب في الساحل.

3- متوسطي بوغازيا في جنوب أربا ووسط و متوسط نابارا (حار في فصل الصيف وبارد في فصل الشتاء).[6][7]

تحتل وسكال هيريا أو ما يترجم توجيه في إسبانيا تعرف بإسم: فيزكايا – غيبوزكوا ألافا ونافار، وتبلغ مساحتها حوالي 7000 ميل مربع، ويوجد في المنطقة الشمالية من إقليم الباسك ثلاث مقاطعات تشكل الجزء الفرنسي المعروف باسم: لابوردي وباس ونافار – سول، تضيفعلى أنها "مواطنون من بلاد الباسك" اليوم ربع مقاطعات ذاتية ال 1000 ميل مربع إلى مجموع إقليم الباسك.[8]

يلاحظ أن المقاطعات السبعة لا تتمركز بالقرب من بعضها البعض، تبلغ مساحة هذه الأراضي (المقاطعات السبعة) حوالي 20.600 كم مربع ويقطنه حوالي 2.2مليون نسمة ونظرا للتدفق الكبير للمهاجرين من مختلف البلدان، بدأت ظاهرة التمزق في أنماط الهجرة لبلاد الباسك، حيث هذه الأخيرة توقفت من كونها مصدرة لسكانها وأصبحت بدلا من ذلك منطقة مضيفة؛ حيث زاد الوزن النسبي للمقيمين الأجانب (من 21.140 في عام 2000 إلى 141.316 في عام 2014م) (يعني من 1.0 % إلى 6.5 % من إجمالي السكان) [9]

المطلب الثاني: اقتصاد إقليم الباسك

يشمل عرض الإقليم أكثر من 40.100 نشاط تجاري بالتجزئة حيث تصل مساحة مبيعات عن ما يزيد 3.8 مليون متر مربع، تمثل تجارة الأغذية 36% من التراخيص، و19% من مساحة المبيعات، وتسجل تجارة الأغذية المتخصصة من جانبها 13.700 مؤسسة تبلغ مساحتها 400.000 متر مربع (متوسط المساحة لكل منشأة متر مربع), يتمحور الهيكل التجاري البلد الباسك حول ثلاث مجالات تجارية بلباو – سان سيباستيان وفيتوريا، تنقسم هذه المناطق بدورها إلى شركة فرعية تجارية. [10]

ونظرا لموقع الإقليم الجيو استراتيجي الهام المتمثل في الربط بين الطرق (إسبانيا وأوروبا) والمترجم من خلال التنقل والرحلات التي يقوم بها الاقليم، و التي تدل على الانتعاش الاقتصادي في الباسك ، عرف الإقليم تنقل مكثف، حيث تصل العلاقات مع كانتابريان إلى 60.258 رحلة يومية، ويرجع ذلك بشكل كبير إلى العديد من التراب والسكان، التي تتأرجح بين كانتابريان الشرقية وبلباو الكبرى، و هناك رحلات البالغ عددها 19.838 رحلة التي أجريت من إقليم الباسك إلى وجهات أخرى والسبب في هذا النزوح خارج الحدود الإقليمية هو أن مدار النفوذ الاجتماعي والاقتصادي المباشر للبلاد يدمج بين هذه الأراضي, يوجد في إقليم الباسك نظام نقل حديث تدعمه شبكة الطرق الكثيفة ذات السعة العالية وشبكة المطار؛ حيث يبرز مطار Sondika الدولي وميناء بلباو زعيم خليج بيسكايا[11].

من خلال ما سبق تتضح رغبة إقليم الباسك في إثبات وجوده على المستوى الأوربي من خلال (شبكة الطرقات) إن مستوى الحياة أو الازدهار في منطقة أو بلد تحدده الإنتاجية التي يستخدم بها موارده البشرية ورأس المال والموارد الطبيعية. بالتالي التعريف المناسب للقدرة التنافسية هو " الإنتاجية "، تعتمد هذه الأخيرة على قيمة المنتجات أو الخدمات (التفرد والجودة) و على الكفاءة، وما يهم porter ليس الصناعات بل كيف تتنافس الشركات في تلك الصناعات ففي النهاية إنتاجية منطقة أو بلد هو انعكاس لما تقرره الشركات المحلية أو الأجنبية على حد سواء.[12]

لقد عانى إقليم الباسك في فترة ما بين 1981– 1991 من المشاكل المتعلقة بالطاقة, حيث كانت فترة العشر سنوات بمثابة وضع جذاب وفي نفس الوقت وضع صعب في بلاد الباسك، رغم أنه على المستوى السياسي والاقتصادي تم تشكيل حكومة الباسك وأصبح نظام الحكم الذاتي ساري المفعول, ولكن من ناحية الطاقة عانت المنطقة من تقادم شروط الإنتاج والبنى التحتية, في هذا السياق كانت هناك حاجة واضحة لسياسة طاقة محددة بدقة، حيث تم تنفيذ إستراتيجية مدروسة طيلة هذه الفترة؛ وركزت الحكومة الاسبانية في العام 1982م جهودها حول ثلاثة مفاهيم أساسية وهي : كفاءة الطاقة , تنوع الطاقة (من خلال الغاز الطبيعي) ,وتسخير مصادر الطاقة المتجددة.[13]

وجاءت نقطة البداية في شكل دعم للصناعة بتحويلها نحو معدات صناعية أكثر كفاءة, وجزء من برنامج كبير لإعادة الهيكلة الاقتصادية وإطلاق حملات وبرامج دعم تهدف لتعزيز الاستخدام الرشيد للطاقة كانت تحت رعاية مركز الطاقة والتنمية والتعدين (ADEM) الذي أنشئ في عام 1981م إستراتيجية

التنويع والتي ركزت على الغاز الطبيعي كبديل رئيسي عن المشتقات النفطية التي شكلت في ذلك الوقت 62% من الطلب، وهذا يعني تعزيز البنى التحتية للغاز، وإدخال تكنولوجيا جديدة مثل الحرارة والطاقة المشتركة (أو توليد مشترك)، فجاءت علامة بارزة أخرى مع إنشاء جمعية الغاز في Euskadi في 1983م , حيث كانت أول شبكة للغاز هي في فيتوريا غاستيز gasteiz–vitoria وتطوير حقل غافيوتا gaviota البحري للغاز بين 1987 و 1992 م مما ساعد على تسريع التوسع في صناعة الغاز في الباسك ,كما ركزت التطورات في مجال الطاقة المتجددة في 1980م على البحث والتطوير التكنولوجي مع الدراسات لوضع قواعد المعرفة وتحديد مصادر الطاقة المتجددة مثل: الطاقة المائية الصغيرة والطاقة الشمسية والرياح والكتلة الحيوية ,وتم إنشاء مجلس الطاقة ووكالة الطاقة بالباسك (EVE) في عام 1982، ليكون بمثابة أداة إدارية مهمتها إدارة جميع الأدوات الأساسية في سياسة الطاقة وتوفير إدارة فعالة من حيث التخطيط والمراقبة والرصد ,وقد سعت الإستراتيجية الثانية للطاقة التي تمت في 1991م إلى تجديد منشآت التوليد من أجل تحسين القدرة التنافسية القارية ومستويات الراحة السكنية وتشجيع برامج الصحة .[14]

بهذه الطريقة تم تحقيق التنافسية الإقليمية التي يمكن حصرها في الإنتاجية، وكمثال على أهمية الإنتاجية للطاقة في أوساط الشعب الباسكي؛ ارتفع الطلب على الطاقة الذي تم قياسه من حيث الاستهلاك النهائي، من حوالي 7000 طن في عام 2001م إلى 8428 مليون متر مكعب عام 2008م بمتوسط نمو سريع قدره 2.3 % مقارنة ب1.7 % خلال العقدين الأخيرين منذ 1971م, ولقد ساهم قطاع البناء بالنسبة الأكبر في النمو وبنسبة بلغت 36% مقارنة بالصناعة والنقل والتي بلغت(28% و 27%)على التوالي ,حيث يتناقض هذا التوزيع مع القطاعات في بلاد الباسك التي تهيمن عليها الصناعة بنسبة 45% يليها النقل 33بنسبة % والخدمات السكنية بنسبة 20% ,حيث ان أنواع الوقود المستخدم هي: الفحم في الصناعة، النفط في النقل، والغاز في قطاع السكن.[15]

المبحث الثاني: القيمة الجيوبولتيكية لإقليم الباسك

يقع اقليم الباسك على خط عرض 43 في اقصى غرب سلسلة جبال البيرينيه، كما يطل على خليج بيسكاي و له تسميات عدة منها سكال ، هيريا ، فاسكونيا و كلها هذه التسميات تشير الى الاقليم المقسم بين اسبانيا و فرنسا ، ويقع في جنوب غرب قارة اوربا ، جنوب غرب فرنسا والى الشمال من اسبانيا و يمتاز بطبيعته الجبلية المتكونة من جبال البرنس ، يحده من الشمال بحر كانتابريا ومن الجنوب منطقة لاريوخا ومن الشرق نافارا ومن الغرب منطقة كانتابريا ومنطقة قشتالة و ليون ، تبلغ مساحته مايقرب (٢٠ كم), حيث يقع ١٨ كم منها تقع ضمن اسبانيا و الباقي في فرنسا و يشمل مقاطعات اسبانية عده هي (نافار – الافا – غيبوسكوا – بسكاي – لابوردي – زوبيروا) [16]

اما مناطق الباسك الفرنسية فتشمل (المناطق البحرية في بيرينيه الاطلسي في فرنسا ، وترك هذا التقسيم دولة الباسك القارية في الشمال بالاعتماد تقليديا على فرنسا في حين أن دولة الباسك تعتمد على دولة اسبانيا ، يتمتع الاقليم بالحكم الذاتي بموجب دستور ١٩٧٨ و يتحكم بثرواته الداخلية و جمع الضرائب و تحتفظ الحكومة الاسبانية بالسلطات المركزية و الخارجية و الدفاع و يحتل الاقليم المرتبة الرابعة عشر على اسبانيا من حيث المساحة عاصمته فكتوريا والتي تعد أكبر البؤر المالية في المحور الأطلسي الاوربي و يرتفع فيها معدل الناتج القومي قياسا بنسبة السكان التي تمثل 4,7 % من سكان اسبانيا اي (2170898 نسمة) و هم مقسمون بين باسك فرنسيين و اسبانيين لهم تاريخ و حضارة وثقافة مميزة ،وازدهر بتصدير الحديد إلى بريطانيا [17]

يتميز إقليم الباسك بأهمية جيوبوليتيكية، إذ يقع على مفترق طرق إسبانيا وأوربا. ينعكس موقعه الإستراتيجي في التدفقات الشديدة التي سجلتها ممرات النقل إلى أوربا وبقية شبه الجزيرة و بسبب موقعه الجغرافي وتوافر الموانئ الطبيعية ومصبات الأنهار الصالحة للملاحة، كان إقليم الباسك لعدة قرون طريق العبور الطبيعي بين إسبانيا وشمال أوربا. عززت سياسة غير التعريفية في ذلك المجتمع التجارة الحرة حيث كانت التجارة في شمال إسبانيا مركزة في موانئ (بلباو وسان سيباستيان) على الواجهة الأطلسية وتقع على ما يسمى الطريق السريع في البحر الاوربي من اوربا الغربية التي تربط البرتغال و اسبانيا مع بحر الشمال [18]

ومن المميزات الجغرافية للإقليم [19]

- يوجد واجهتين بحريتين واضحتا الاختلاف (الاطلسية و المتوسطية) حيث يتركز السكان و الصناعة بالاولى و يقل بالثانية.
- تشكل المنطقة الشمالية من أوسكال هيريا – ابارالدي 15 % من مساحة اسبانية والمنطقة الجنوبية اكوالدي و التي تشمل كل من اوسكادي و نابارا 85 %.

- لايتمتع الجزء الفرنسي من الاقليم باستقلالية ادراية ، على عكس الجانب الاسباني الذي تمتع بحكم ذاتي لمدة من الزمن .
- يتمركزغالبية السكان في المناطق الحضرية المتوسطة و الصغيرة ، ويبلغ عدد سكان الاقليم حسب احصاء 2019 (2170868 نسمة) مقسمون بين فرنسا و اسبانيا و لغتهم هي اللغة الباسكية و لهم تقاليد خاصة بهم لا تشبه تقاليد فرنسا و لا اسبانيا .

المطلب الاول: العامل التاريخي المشترك لإقليم الباسك

إنّ تاريخ الباسك معقد ويتصف بالغموض وهذا بحسب ما أشار إليه.وهذا في ظل الافتقار لوثائق عمل تاريخية عن ترجع الحيثيات التي تم العثور عليها في إقليم الباسك إلى العصر الحجري (150.000 سنة قبل ميلاد المسيح) كما عثر على بعض العظام وعلى أدوات يرجع أصلها إلى سكان يناندیرتال، وتعتبر بعض بصمات لرسومات على الحجر من بين الموجودات (البالغة الأهمية، إضافة لمغا ا رت مكتشفة في ألكين، التشري، سنتاميمني والبيردي.[20]

رجح بعض الباحثين أن أصول الباسك تعود إلى الجماعات الهندو أوروبية منذ نحو الفين سنة ق.م على الأقل ويرى البعض أنهم انحدروا من رعاة العصر الحجري الحديث.يمتاز الإنسان الباسكي بجملة من السمات من خلالها يمكن التوصل إلى أي عصر ينتمي فهو يجمع، بين القامة المتوسطة النحيفة والأنف الرفيع والوجه الضيق جداً، الذقن الرفيعة والحواجب البارزة قليلاً والجبهة المنتفخة قليلاً أما راسه فشكله يتراوح بين الطويل والعريض، وان شكل الراس يميل بصفة عامة نحو المتوسط وتشبه لحد الكبير رؤوس الكلت في عصر الحديد، وهذا ما دفع إلى القول بأن الباسك ينتمون أصلاً إلى عناصر إيبيرية قديمة.[21]

الهوية الباسكية وتداعياتها على الأمن القومي الإسباني:

يعترف الدستور الإسباني لعام 1978 في مادته الثانية بالكيانات التاريخية المشكلة للدولة الاسبانية، وهو يسميها "قوميات" بدلا من "شعوب" تجنبا لما يحمله اللفظ الأخير من محتوى سياسية. وقد حرصت الحكومات المتعاقبة منذ التحول إلى الديمقراطية بعد نهاية حكم فرانكو في منتصف السبعينيات على اعتبار الهوية الإسبانية مجموع تداخل الهويات الإقليمية المختلفة بدلا من هوية مركزية جامعة ووحيدة. وبالرغم من الامتيازات السياسية التي حصلت عليها الاقليات في اسبانيا والوضع الفيدرالي الاقرب إلى الحكم الذاتي في بعض الأقاليم إلا أن المطلب الانفصالي المستند إلى الهوية لازال قائما، وهو ما أبرزته حالة كاتالونيا مؤخرا.[22]

المطلب الثاني : محددات الهوية الباسكية:

تجمع بين الباسكيين مجموعة من الخصائص الأنثروبولوجية، البيولوجية وحتى الوراثية، فضلا عن القاسم اللغوي (الأوسكارا)، الديني، العادات والثقافة المشتركة والتركز الإقليمي، حيث أنهم كشعب أصيل يتركزون بشكل رئيسي في منطقة الباسك، منقسمين على سبعة مقاطعات أساسية، موزعة بين دولتين

سياديتين هما فرنسا وإسبانيا. فيما يخص اسبانيا فإنهم يتمركزون ضمن ثلاثة أقاليم هي بيسكاي (Biscaye)، قيبوثكوا (Guiposcoa)، وألافا(Alava). وكما يلي : [23]

1. **اللغة:** تعرضت الأوسكارا – باعتبارها لغة مشتركة بين شعب الباسك، جامعة التقاليده، قيمه وآدابه وقادرة على الحفاظ على هويته – لأعوام طويلة للتهميش والإهمال، إما لأسباب متعلقة بها كغياب قواعد موحدة تخصها, أو نتيجة السياسات مقصودة عانت منها المنطقة. لكن هذا الوضع بدأ في التغير بفضل كفاح الوطنيين الباسكيين الذين رأوا في الأوسكارا أداة وغاية للدفاع عن الهوية الباسكية والمطالبة بالاستقلال الوطني. أبعد من ذلك، فقد ذهب الكثيرون إلى تبرير ظهور التيار الراديكالي في منطقة الباسك بالخصائص والمرتكزات الهوياتية والمستندة أساسا إلى عامل اللغة، وهو ما يظهر في مطالب حركة إيتا التي تنادي بقيام دولة باسك مستقلة وأحادية اللغة.
2. **الإقليم التاريخي:** انطلاقا من قدم التواجد التاريخي لشعب الباسك في أقاليم متجاورة منقسمة بين فرنسا واسبانيا ، وانتمائهم الطويل إلى مملكة واحدة كانت تجمعهم، فضلا عن وعيهم منذ القدم بخصوصياتهم الثقافية واللغوية وتبلور مطالبهم الإقليمية الوطنية، يؤكد الباسكيون الوطنيون أن أرضهم في واقع الأمر تتكون من مجموع الأراضي يعبر عنها بما يصطلح عليه بالسبعة المشكلة الواحدة والمتمثلة في مجموع الأقاليم الأربعة الموجودة في إسبانيا يضاف إليها الثلاثة التابعة لفرنسا، والتي يفترض أنها تشكل دولة باسك موحدة، مستقلة في إقليمها ومحافظة على خصوصيتها الهوياتية,لقد قاد مفهوم الإقليم التاريخي إلى استعمال مبدأ الحق التاريخي للمطالبة بحق الباسكيين في استعادة أراضيهم، ومنه الحفاظ على خصوصية هويتهم مختلفة عن الآخرين، حيث مع مجيء سنوات الستينات وانتشار الإيديولوجية الوطنية لم تعد العضوية في مجتمع الباسك مقرونة بالتاريخ، العرق أو الثقافة و إنما نتيجة للمطالبة بالعيش في "الأرض الأم"، والرغبة في تعريف الذات انطلاقا من الإقليم. [24]
3. . **تأثير النظام الدكتاتوري على بلورة الانتماء الهوياتي الباسكي:** بنهاية الحرب الأهلية التي استمرت من 1936 و 1939، وخسارة الجناح اليساري الجمهوري للحكومة أمام الثوار الوطنيين المدعومين من طرف النازيين الألمانيين والفاشيين الإيطاليين، نصبت في إسبانيا واحدة من أطول وأقوى الدكتاتوريات في القرن الأخير بقيادة الجنرال فرانسيسكو فرانكو، الذي عمل جاهدا على تكريس دولة إسبانية موحدة، تقليدية، مؤسسة على الديانة الكاثوليكية والإيمان الأسطوري بعراقة الأمة الإسبانية [25]

من هذا المنطلق، باشر فرانكو منذ تنصيبه في 1939 بإجراء العديد من التغييرات وسن مجموعة من القوانين التي كرست النظام الدكتاتوري في إسبانيا، ملقيا بذلك قبضته على الحريات السياسية والاجتماعية للمجتمع الإسباني إجمالا ومضطهدا الحقوق الأقليات الإسبانية على وجه خاص، وهو ما نمى لدى هذه الأخيرة مشاعر الاختلاف والتميز الهوياتي عن باقي إسبانيا حيث أمام كل السياسات الدكتاتورية الخانقة، وجد الباسكيون أنفسهم خاضعين لمجموعة من القوانين التي يرفضونها، ليس لأنها تتعارض مع نفسيتهم وطبيعتهم المعيشية القائمة على التحرر وعلى رفض إتباع أية سلطة خارجية مركزية فقط، وإنما أيضا لأنها تهدف إلى استأصالهم عن جذورهم وتهدد هويتهم الجماعية في كل

مستوياتها السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية والثقافية. لأجل هذه الأسباب جميعا، فقد ظهر على مستوى المجتمع الباسكي جيل رافض لهذه المعاملة القمعية وللسياسة الدكتاتورية إجمالا، توجه بقناعة إلى تطوير أساليب خاصة للدفاع عن وجوده وهويته، وصلت به حد تشكيل الحركة الانفصالية الباسكية، التي يرى العديد من المنظرين أنها ما أتت إلا كرد فعل على فرانكو وسياساته الدكتاتورية.[26]

4. **دور الكنيسة في التعبئة الشعبية:** إن العلاقة بين المؤسسة الدينية والهوية الوطنية تظهر في حالة الباسك عبر مسارين أساسين، أولهما مرتبط بمساهمة الكنيسة في تقوية الحس الإنتمائي للهوية لدى الباسكيين من جهة، وثانيهما مؤداه ظهور المؤسسة الدينية الباسكية كفاعل سياسي نصف مستقل مع البدايات الأولى لتبلور المطالب السياسية الوطنية في نهاية القرن التاسع عشر [27]

بفضل الدور الإيديولوجي الذي لعبته المؤسسة الدينية في تطوير الفكر الوطني وربطه بركيزتي اللغة والإقليم بدل التطرف العرقي، أصبح التأكيد على أن الاستقلال الإثني الوطني يرتكز على ديمقراطية مسيحية الثنية أيضا، وهي الإيديولوجية التي تبنتها حركة إيتا في كفاحها، والتي تدعمت من طرف بعض المؤسسات الدينية على غرار كنيسة المسيح في منطقة قيبوثكوا، التي يرى عالم الاجتماع جوكين أبالاتيجي (JokinApalategi) أن نشاطها هو المفسر لمستوى الحدة الذي طبع الإيديولوجية الوطنية في تناولها المسألة الهوية الباسكية. رؤية يساندها المؤرخ التاريخي أنطونيو إلورزا(Antonio Elorza) حين يؤكد أن الكنيسة هي واضعة البذور الأولى في تقديم إسبانيا كعدو منظم لدى الباسكيين.[28]

الخاتمة:

مما تقدم يمكن القول أن اقليم الباسك يتمتع بخصائص الأمة الواحدة وذلك من هوية وتاريخ مشترك وخصائص جغرافية مهمة (موقع، مساحة، تطور اقتصادي هام) ما جعله محط أطماع داخلية وخارجية وهذا مازاد من صعوبة الأمة الباسكية في إنشاء دولة مستقلة واجه واجه الإقليم معوقات وعراقيل كبيرة حالت دون الحصول على استقلاله سواءا كانت هذه العراقيل من قبل الحكومات الاسبانية المتعاقبة التي عارضت هذا الموضوع بشكل قاطع إضافة إلى عراقيل اخرى من قبل الإتحاد الأوربي حول استقلال الإقليم لأنه " حسبه سيشكل خطر على تماسكه ونفس الشيء بالنسبة لموقف فرنسا إذ اعتبرت استقلاله منافيا للجمهورية الفرنسية. الإقليم الباسك.

الهوامش

---

(1) إسماعيل صبري مقلد، "العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات" ، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩١، ص ٩٨.

(2) Jordi pujol, conclusions Jordi ,Catalunya, Espanya , Una Crisi de project ,Barcelona ,Center d studio Jordi pujol ,2009 ,p 29

(3) حنان بن عبد الرزاق،"تأثير المأزق الأمني الإثني على الاستقرار الداخلي للدولة، دراسة للنموذج الاسباني من 1936"، مذكرة مكملة لنيل شهادة دكتوراة في العلوم السياسية والعلاقات، جامعة محمد خيضر ،بسكرة، .2016ص165

(4) ارامون زيو وميكيل أيوصو ،"تعرف على إقليم الباسك :رحلة إلى داخل ثقافته ، تاريخه، مجتمعه ومؤسساته"، ترجمة : عبدالرحيم الزوائري، 2009 ، ص8

(5) حنان بن عبد الرزاق،" الآليات المؤسساتية لإدارة التعدد الإثني – دراسة حالة النزاع في إقليم الباسك بإسبانيا منذ العام 1959" ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات ،2007 , ص 1959 م،

(6) ارامون زيو وميكيل أيوصو، مرجع سبق ذكره، ص08

(7) Graham M. Stubbs.B.A, "Acomparative analysis of The intractability of the Basque conflict", master thesis <georgetown university, wshington, D.C ,2012,p13.

(8) Pais Vasco .pdf.http://www.mercasa .es/files/ multimedios/ 04-pais-vasco. Pdf, p95.

(9) Juan Ramon Murua and Begona Eguia , "contribution of The immigrant population to demographic and dynamics of The Basque contry,publiched 2015

(10) Pais vasco, Op. Cit, P.95.

(11) JoseA.Herce, La economa del pais vasco :Diagnostico estrategio,servicio de estudios de "la caisca" ,Barcelona,2010,pp17,18,19

(12) Ricardo Monge Gonzalez y José Manual Salazar-"Xirinachs,politicas de clusteres y de desarrollo productivo en la comunidad Autonoma del pais vasco,ed " :1,organizacion internacional del trabajo,Americas,2016,p22.

(13) خليفي كلثوم " الضغوطات الداخلية والإقليمية على إقليم الباسك بإسبانيا"2018 , ص 19

(14) خليفي كلثوم, مصدر سابق , ص 20

(15) Bernabé unda Barturen ,"energy strategy for The Basque country" 2020,2012,pp08-099.

(16) امنه محمد علي ، الحركات الانفصالية " اقليم الباسك إنموذجا " المجلة السياسية و الدولية ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد ، سنة ، العدد ، ص ٨١٠.

(17) امنه محمد علي ، مصدر سابق , ص 811

(18) كلثوم خليفي , مصدر سابق , ص 1.

(19)https://www.euskadi.eus/contenidos/informacion/ezagutu_eh/es_eza_eh/adjuntos/

(20) رامون زيو وميكيل يوصو، مصدر سابق , ص.

(21) حنان بن عبد الر ا زق، مرجع سبق ذكره، ص59 .

(22)http://wiki.masaratcom.com/masarat.php

(23) هدى معماش " الأمن القومي وتحدي الهويات الفرعية: حالة الباسك في اسبانيا" مجلة الباحث للدراسات الأكاديمية , العدد الثاني عشر , 2018

(24) Jokinnen N.: "Basques and Basqueness: Competing and Conflicting Identities", Master's Thesis, (Department of Geography, University of Joensuu,Finlande, March 2002), p 10.

(25) La Censure sous le Franquisme, disponible sur le site web: http://www.lodp.net/carmela/docs/malette_pedagogique_en_PDF/documents/Censure consulté le, 2013.

(26) La Censure sous le Franquisme, Op.Cit.

(27) Itçaina, X.: Catholisme et Construction Identitaire Basque: Retour sur le Postulat d'une Sécularisation Achevée,le Purdum, Vol.06, N°.06, 2001, p.02.

(28)Itçaina, X., Op.Cit.

المصادر والمراجع:

1- إسماعيل صبري مقلد، "العلاقات السياسية الدولية: دراسة في الأصول والنظريات" ، القاهرة: المكتبة الأكاديمية، ١٩٩١.

2- حنان بن عبد الرزاق،"تأثير المأزق الأمني الإثني على الاستقرار الداخلي للدولة، دراسة للنموذج الاسباني من1936 "، مذكرة مكملة لنيل شهادة دكتوراة في العلوم السياسية والعلاقات، جامعة محمد خيضر ،بسكرة، 2016.

3- ارامون زيو وميكيل أيوصو ،"تعرف على إقليم الباسك :رحلة إلى داخل ثقافته ، تاريخه، مجتمعه ومؤسساته"، ترجمة :عبدالرحيم الزوائري، 2009 .

4- حنان بن عبد الرزاق،" الآليات المؤسساتية لإدارة التعدد الإثني – دراسة حالة النزاع في إقليم الباسك بإسبانيا منذ العام 1959" ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية والعلاقات ، 2007.

5- خليفي كلثوم " الضغوطات الداخلية والإقليمية على إقليم الباسك بإسبانيا"2018.

6- امنه محمد علي ، الحركات الانفصالية " اقليم الباسك إنموذجا " المجلة السياسية و الدولية ، كلية العلوم السياسية ، جامعة بغداد2017.

7- صلاح جاسم صالح، الحكم الذاتي ودورة في إدارة التنوع اسبانيا انموذجا بعد العام ١٩٧٥، رسالة ماجستير، جامعة بغداد، كلية العلوم السياسية، ٢٠٢٢.

المصادر الاجنبية:

1- « La Censure sous le Franquisme », (disponible sure le site web: http://www.lodp.net/carmela/docs/malette_pedagogique_en_PDF/documents/Censure.pdf, 2013.
2- Itçaina, X.: Catholisme et Construction Identitaire Basque: Retour sur le Postulat d'une Sécularisation Achevée,le Purdum, Vol.06, N°.06, (2001).
3- Jokinnen N.: "Basques and Basqueness: Competing and Conflicting Identities", Master's Thesis, (Department of Geography, University of Joensuu,Finlande, March 2002).
4- http://wiki.masaratcom.com/masarat.php
5- https://www.euskadi.eus/contenidos/informacion/ezagutu_eh/es_eza_eh/adjuntos/eza_ar.pdf
6- Bernabé unda Barturen ,"energy strategy for The Basque country" 2020,2012,pp08-099.
7- Ricardo Monge Gonzalez y José Manual Salazar-"Xirinachs,politicas de clusteres y de desarrollo productivo en la comunidad Autonoma del pais vasco,ed " :1,organizacion internacional del trabajo,Americas,2016
8- JoseA.Herce, La economa del pais vasco :Diagnostico estrategio,servicio de estudios de "la caisca" ,Barcelona,2010
9- Graham M. Stubbs.B.A, "Acomparative analysis of The intractability of the Basque conflict", master thesis <georgetown university, wshington, D.C ,2012.
10- Pais Vasco .pdf.http://www.mercasa .es/files/ multimedios/ 04-pais-vasco. Pdf
11- Juan Ramon Murua and Begona Eguia , "contribution of The immigrant population to demographic and dynamics of The Basque contry,publiched 2015
12- Jordi pujol, conclusions Jordi ,Catalunya, Espanya , Una Crisi de project ,Barcelonan ,Center d studio Jordi pujoI ,2009.